مشكلة العدوان والعنف
لدى الأطفال والشباب
(بين الخير والشر والصواب والخطأ)

المقدمة

يقول الحق تبارك وتعالى فى محكم تنزيله: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [سورة الكهف: الآية ٤٦] يعتبر الطفل أروع أشكال الحياة على وجه هذه الأرض ففى داخله يمتلك هذا الصغير قدرات مذهلة. ولكن إلى أى حد نفهم خصائص هذا الصغير حق الفهم، ماذا نعرف عن سلوكه وردود أفعاله إزاء العالم المحيط به. إن تلقى التربية هو حق طبيعى للأبناء. فهم بحاجة إلى بناء شخصياتهم ليكونوا أفرادًا نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم ومخلصين لدينهم. ومن السلوك الذى يرهق الوالدين مع أبنائهم هو السلوك العدوانى. ويظهر من جميع الأطفال فى وقت من الأوقات عمل عدوانى وليس فى هذا ما يقلق الأبوين ويملأ قلبيهما همًّا ولو أظهر طفلهما عدوانية بالضرب أو الركل (فقد يحتاج الطفل إلى زجر وعقاب) غير أن بعض الأطفال المسرفين فى نشاطهم واندفاعهم لا يستطيعون كبت مشاعرهم وربط حيويتهم فهم يفقدون السيطرة ويتصرفون بعدوانية، هؤلاء لا يفيدهم العقاب

فى شىء، بل الأفضل أن نفهم السبب الذى تولد منه الحادث وإن كانت الأم متيقظة فإنها تتدخل قبل فقدان الطفل لسيطرته. وفى الوقت نفسه يجب على الأبوين أن ينتبها لتصرفاتهما ولمواقفهما.

إن العدوان ظاهرة عند الإنسان والحيوان، والإنسان مطالب دائما أن يسيطر على دوافعه العدوانية ويظل سيد نفسه وتصرفاته ويعد موضوع العدوان من أكثر الموضوعات مناقشة فى علم النفس.

ويتجلى العدوان عند الإنسان بأشكال وصور عديدة منها العنف والضرب والطعن والهجاء والسب والتشهير والاستهزاء والسخرية والإهمال.

وهكذا فإن العدوان ظاهرة قوية ويكمن خلفه طاقة لا يستهان بها. وطاقة الإنسان قابلة لأن توجه نحو الخير والبناء والتعمير أو توجه نحو الشر والهدم والتخريب.

ومثلما يولد الإنسان ولديه حاجة للحب والإحسان؛ يولد ولديه حاجة أو دافع فطرى للبغض والعدوان.

فالعدوان إذن سلوك طبيعى، فيعتبر الغضب والثورة والاشتراك فى المشاجرة من الأمور الطبيعية التى تصدر عادة من الأطفال الأصحاء الأقوياء. بل إننا نشك فى صحة الطفل وفى سلامته إذا لم يغضب أبدًا أو إذا لم يتشاجر مع زملائه على الإطلاق.

إلا أن قيام الطفل بالغضب والثورة والاعتداء على زملائه بدون مبرر ظاهر سواء فى البيت أو المدرسة أو فى الشارع؛ وبصورة مستمرة؛ يدل هذا السلوك غير الطبيعى أيضًا على اضطراب نفسية الطفل، ويدعو إلى ضرورة العناية به ودراسة حالته دراسة دقيقة لمعرفة أسباب هذه المشكلة والعمل على تلافيها ليكون الطفل صحيحًا نفسيًا.

وإذا كنا نصادف طفلاً عدوانيًا معتديًا يرتكب الأخطاء كثيرًا، يتلف الأشياء كثيرًا، يميل إلى الغضب، يملك الرغبة فى إيذاء الآخرين، ويجد المتعة فى إيذائهم.

ويستخدم القوة فى مقابل الضعف... فهذا الطفل هو الذى لديه مشكلة ويحتاج إلى علاج.. وهو طفل عدوانى.

والسلوك العدوانى هو أى فعل يهدف إلى إيقاع الأذى أو الألم بالآخرين أو إتلاف الممتلكات، فالعدوان ليس انفعالاً أو حاجة أو دافعًا، إنه أولاً وقبل كل شىء سلوك يرى البعض أنه يهدف إلى إيذاء الآخرين وممتلكاتهم، ويشترط هذا الرأى توافر النية لإيقاع الأذى.

وترتبط استجابات العنف والعدوان فى المراحل المبكرة من عمر الطفل بعوامل بيولوجية وأسرية وثقافية وبيئية عامة، وتحدث فى مواقف مختلفة كالبيت أو الأسرة والمدرسة والشارع، وأن ضبط هذه الاستجابات قضية تربوية مهمة بالنسبة للأطفال حيث إن عليهم أن

يتعلموا كيفية التحكم فى انفعالاتهم، وكيفية التعبير عنها والمناسبات التى تكون فيها غير مقبولة.

ونظرًا لظهور السلوك العدوانى لدى الأطفال العاديين الذين لا يعانون من أية إعاقات أو اضطرابات فقد أبدى علماء النفس والتربية والاجتماع اهتمامًا ملحوظًا بتحليل السلوك العدوانى، وبالرغم من أن البعض يرى فى العدوان سلوكًا فطريًا غريزيًا، يراه البعض الآخر سلوكًا مكتسبًا يتعلمه الإنسان بفعل وتفاعل الظروف البيئية.

كما أن مشكلة العنف والعدوان هى مشكلة سلوكية تتزايد مع تقدم الحياة المدنية بسبب الضغوط المادية والاقتصادية التى تثقل كاهل الوالدين وكذلك انشغال كلا من الزوج والزوجة بأعمالهم الخاصة مما أدى إلى عدم إعطاء وقت كافٍ للتفكير بهدوء بال فى راحة الأولاد ومطالبهم والمعاملة الطيبة فيما بينهم كما كان فى الماضى. كما يجب ألا يفوتنا الآثار السلبية لوسائل الإعلام التى من أهمها توليد العنف وكذلك الألعاب الإلكترونية والثقافات الغريبة على المجتمعات العربية، كذلك القدوة فلا بد أن يكون كلا من الأب والأم والمعلمين والمربين قدوة حسنة فى كيفية حل المشكلات بعيدا عن العنف والعدوان كما أن المشكلات الأسرية ذات أثر سيء على الأطفال والشباب، ولقد خلق الله سبحانه وتعالى البشر فى أحسن صورة وكرمهم عن باقى المخلوقات قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [سورة التين: آية ٤].

ومما لا شك فيه أن من أغلى النعم التى أنعم الله بها على الإنسان هى العقل، لذلك نجد تفاوتًا بين أفراد البشر فى طباعهم وسلوكياتهم باختلاف مستويات عقولهم وتفكيرهم، فنجد ونلمس الكثير من السلوكيات فى واقعنا المعاصر لا نتقبلها ولا نرضاها بحكم أننا نملك عقلاً واعيًا يرفض سلوكيات العنف والعدوان التى نجد منها أنواعًا شتى فى حياتنا مثل الإرهاب والقتل عند الشباب وما إلى ذلك من مظاهر العنف والإرهاب.

وتعتبر ظاهرة العنف من الظواهر القديمة فى المجتمعات الإنسانية، فهى قديمة قدم الإنسان الذى ارتبط وما زال يرتبط بروابط اجتماعية مع الوسط الذى فيه يؤثر وبه يتأثر، إلا أن مظاهره وأشكاله تطورت وتنوعت بأنواع جديدة فأصبح منها: العنف السياسى، والعنف الدينى، والعنف الأسرى الذى تنوع وانقسم هو أيضًا إلى: العنف الأسرى ضد المرأة ـ العنف الأسرى ضد الأطفال ـ العنف الأسرى ضد المسنين. كما أن ازدياد انتشاره أصبح أمرًا مثيرًا للدهشة سواء على مستوى العالم أم على مستوى الوطن العربى، وذلك لأن ظاهرة العنف تعتبر مشكلة اقتصادية لما ينجم عنه من خسائر مادية كبيرة، ويعد أيضًا مشكلة علمية لأنه إذا وجد هذا السلوك العنيف دل على عجز العلم والإنسان عن تقديم فهم واقعى سليم للسلوك الإنسانى، كذلك يعتبر مشكلة مرضية؛ لأنه يعد عرضًا من أعراض المرض الاجتماعى، وهو مشكلة اجتماعية من حيث كونه مظهرًا لسلوك منحرف لدى الأفراد.

من العرض السابق يتضح لنا أهمية هذا الإصدار (من سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع) فى أنه يتناول مشكلة مهمة وخطيرة فى حياة الفرد قد تدفعه إلى تدمير نفسه وكل من حوله.. وسوف نتعرف من خلال هذا الإصدار على معنى العدوان والعنف، وكذلك معرفة الأسباب التى تؤدى إليهما، والتفسير النفسى لهما ووجهة النظر الدينية للعنف والعدوان وأيضا التعرف على أساليب الوقاية من مشكلة العدوان والعنف وطرق العلاج.. وذلك إلى جانب معرفة تأثير التليفزيون ووسائل الإعلام على زيادة العنف والعدوان لدى الصغار والشباب، وعرض مختصر للعدوان وبعض المفاهيم ذات الصلة به (الإرهاب، التطرف، الجريمة).

تعريف العدوان:

العدوان سلوك يقصد به المعتدى إيذاء الآخرين وقد عرف العدوان من قبل العديد من علماء النفس.

وقد تطلق صفة العدوان على أشكال محددة من السلوك (كالضرب والصدم مثلاً) أو على أشكال معينة من الحوادث الانفعالية أو كليهما معًا أو على الظواهر المرافقة للحوادث الاجتماعية (كالغضب والكره) أو على مضامين دافعية (كالغريزة والدافع) ولا يتضمن مفهوم العدوان سمات سلبية كالميل للمشاجرة والسيطرة والصراخ والعنف فقط وإنما يتضمن سمات إيجابية كالثقة بالنفس والحزم والتوكيد وقوة الإرادة.

كما عرف العدوان على أنه السلوك الذى يؤدى إلى إلحاق الأذى الشخصى بالغير وقد يكون الأذى نفسيًا (على شكل إهانة أو خفض قيمة) أو جسميًا كما أنه شكل من أشكال السلوك الذى يهدف إلى تحقيق رغبة فى السيطرة.

والعدوان هو كل فعل يتسم بالعداء تجاه الموضوع أو الذات ويهدف إلى التدمير. فهو سلوك يقصد به المعتدى إيذاء الشخص الآخر.

كما أنه نوع من السلوك الاجتماعى يهدف إلى تحقيق رغبة صاحبه فى السيطرة وإيذاء الغير أو الذات. تعويضًا عن الحرمان أو الاستخفاف بالشخص أو التقليل من شأنه وهو يعد استجابة طبيعية للإحباط. ويسمّى العدوان عندما يوجّه إلى الآخر "سيادية Sadism" وعندما يرتد إلى صاحبه يسمّى: "مازوجيه Masochism".

وكذلك يعرف العدوان على أنه أى فعل أو سلوك يهدف إلى الضرر أو الأذى وفى السلوك العدوانى تهمل حقوق ورغبات الآخرين أو تختزل وبهذه الصورة فإن السلوك العدوانى سلوك يدل على سوء التكيف، كما أن الأطفال ذوى السلوك العدوانى الحاد لا يتصفون بالمرونة بل بالجمود والنمطية (أسلوب سلوكى جامد) وأن الأطفال الذين يظهرون كمية كبيرة من العدوان فشلوا فى تنمية ضوابط داخلية ولم يتعلموا أنماطًا من السلوك المتوافقى الملائم والمقبول.

كما أن كلمة عدوان تتخذ معان كثيرة، ومن أجل ذلك فإن تعريفها يعتبر أمرًا صعبًا، فلا يوجد حد فاصل فى استعمال كلمة العدوان فى مواقف مختلفة، فالعدوان عمل بطولى إذا تمثل بقتال لمصلحة الوطن وصد الأعداء، وهو مذموم ومستنكر إذا توجه نحو قتل الأبرياء، والعدوان على السلطة تخريب وإجرام فى نظر المسئولين المعتدى عليهم على رأس هذه السلطة، وهو عمل رائع وتحريرى فى نظر الشعب الذى يتوق إلى إزالة السلطة الحاكمة والخلاص منها.

ومن هنا اختلف تعاريف العلماء لهذه النزعة العدوانية بحيث ينظر إليها كل منهم من وجهة نظره الفلسفية، ففى حين يراها "أدلر" بأنها التعبير عن إرادة القوة فإن "فرويد" يراها سلوكًا واعيًا ناتجًا عن غريزة الموت، وقد افترض "فرويد" وجود هذه الغريزة وجعلها مسئولة عن الحرب والتدمير بالإضافة إلى السلوك العدوانى.

أما"فيليب هاريمان" فيشير إلى أن السلوك العدوانى هو سلوك تعويضى عن الإحباط المستمر، وهو السلوك الذى يقصد به إيذاء شخص آخر أو جرحه بما يتناسب مع كثافة الإحباط، إذ كلما زاد إحباط الفرد كلما زاد عدوانه.

أما "هنجارد" فيرى أن العدوان نشاط هدام ويقود به الفرد لإلحاق الأذى بالآخرين سواء بطريق الاستهزاء والسخرية والهجاء أو بإحداث الأذى والألم الجسدى.

أما "أنطونى ستور" فيرى أن الإنسان هو أكثر الأجناس تدميرًا لبنى جنسه وأكثرها حبًا واستمتاعًا بممارسة القوة مع بنى جنسه، وما مظاهر العنف والوحشية التى نسمع ونقرأ عنها سوى الدليل الثابت على ذلك.

ويرى "شابلن Chaplin" أن العدوان هجوم أو فعل مضاد موجه نحو شخص أو شيء ما وينطوى على رغبة فى التفوق على الآخرين، ويظهر إما فى الإيذاء أو السخرية بغرض إنزال العقوبة بالآخر بينما يُعرف "سايكس Sykes" العدوان ـ بأنه الشروع فى التشاجر والتحفز للمهاجمة أو العراك.

المقصود بالعنف:

العنف ظاهرة تستشرى فى المجتمعات، وهو داء لم يستثن بلدًا أو إقليمًا أو قارة، إذ ترد إلينا من خلال وسائل الإعلام، وفى كل يوم وساعة، حوادث العنف التى يقف لها شعر الرأس، وبعض أصابع الاتهام تشير إلى أن العنف يتم إرضاعه منذ الصغر. بل إن أصابع أخرى تشير تحديدًا إلى المدارس باعتبارها الثدى الذى يتغذى منه الصغار بالعنف والعدوانية. ويؤكد أصحاب هذه الأصابع أن مدارس العالم الغربى مثلما هو شأن مدارس العالم الشرقى، تمتلئ بمثيرات العنف، حتى إن حوادث دموية مميتة ومروّعة حدثت فى الولايات المتحدة وغيرها لا يمكن أن تتناساها الذاكرة.